جمالية الانزياح في القصيدة النوفمبرية

نشيد "جزائرنا" لمحمد الشبوكي أنموذجا

د.برقلاح إيمان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية .قسنطينة.

ملخص:

يعد الانزياح من أكثر المصطلحات النقدية شيوعا وتداولا في الدارسات الأسلوبية والنقدية الحديثة التي تعتني بالنص الأدبي وطرائق استخدام اللغة فيه،هذه اللغة التي تعتبر العلامة الإبداعية الأبرز،التي تتشكل وفقها البنيات الأسلوبية والبلاغية،ولأن القصيدة النوفمبرية التي مجدت الثورة و تغنت ببطولاتها و تضحياتها قد عرفت بتميزها ومكانتها الخاصة داخل متون الشعر الجزائري و حتى العربي،جاءت مداخلتنا هذه لإبراز جمالية الانزياح في شعر "محمد الشبوكي"،بنوعيه التركيبي و الدلالي و ذلك من خلال نشيده الوطني "جزائرنا" أنموذجا .

الكلمات المفتاحية :الانزياح،اللغة،القصيدة النوفمبرية،الانزياح التركيبي،الانزياح الدلالي.

Abstract:

Shift is one of the most common and widely used critical terms in modern stylistic and critical studies that are concerned with the literary text and the methods of using language in it. This language is considered the most prominent creative sign, according to which stylistic and rhetorical structures are formed, and because the November poem that glorified the revolution and sang of its heroism and sacrifices was known. With its distinction and special place within the texts of Algerian and even Arab poetry, our intervention came to highlight the beauty of displacement in the poetry of "Mohamed Al-Shabouki", with its structural and semantic quality, through his national anthem "Our Algeria" as an example.

Keywords: shift, language, November poem, syntactic shift, semantic shift.

مقدمة:

يكتسي مصطلح الانزياح أهمية بالغة في الدراسات الأسلوبية ،نظرا لمساهمته الفعالة في إنتاج جمالية النصوص الأدبية ،فيجعلها متميزة عن غيرها من النصوص العادية ،البعيدة عن الفنية و المتعة ،لذلك فالانزياح"يخلق الشاعرية في النص الأدبي ،و يؤثر في المتلقي بسبب تلك الجمالية فضلا عن عنصر المفاجأة ألا متوقع ،فيثير في المتلقي الشعور بالمتعة و شد الانتباه و اتساع مخيلة القارئ "[1].

كما تظهر أهمية الانزياح "في خلق إمكانيات جديدة للتعبير و الكشف عن علاقات لغوية جديدة تصدم مع ما تربى عليه الذوق ،و ما تأسس في معرفة الإنسان الأولية ،و إن الجديد و الغريب الذي تعكسه ظاهرة الانحراف ما هو إلا ترسيخ للشعرية التي تثيرها من خلال دلالاتها الكامنة و المشحونة "[2].

و الانزياح "الابتعاد بنظام اللغة عن الأسلوب المألوف ،و الخروج بأسلوب الخطاب عن السنن اللغوية الشائعة،فيُحدِث في الخطاب تباعدا(انزياحا)يتيح (للشاعر)التمكن من محتوى تجربته و صياغتها بالكيفية التي يراها،كما يحقق للمتلقي متعة و فائدة "[3]،إنّه ظاهرة تميّز اللغة و تمنحها "خصوصيتها و توهّجها و تألقها،و يجعلها لغة خاصة تختلف عن اللغة العادية "[4] .

لذا فالغاية من الانزياح لفت الانتباه ،ومفاجأة القارئ أو السامع بشيء جديد ،و الحرص على عدم تسرب الملل إليه[5]،و هذا ما جعل للشعر مكانة مميزة لأنه من المستحيل أن يخلو من الانزياح الذي يخدم النص بما يقدمه من "خرق لقوانين اللغة بالتقديم و التأخير و التكرار و الحذف،و ما يقدم من استعارات و تشبيهات و كنايات و محسنات،و يخدم متلقي النص بما يحدث له من المفاجأة بالخروج عن النظام و القانون المتبع في تركيب الجمل "[6].

و قد مثّل محمد الشبوكي لظاهرة الانزياح بشكل واضح في أغلب نصوصه الشعرية و تألق في توظيفه خاصة في قصيدته "جزائرنا" التي تعد من أشهر النصوص الشعرية الثورية التي خلّدت لثورة

---

[1] أيوب جرجيس العطية:الأسلوبية في النقد العربي المعاصر،عالم الكتب الحديث ،الأردن،ط 1،2014 ،ص 112.

[2] موسى ربابعة:الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها،دار الكندي للنشر و التوزيع ،أربد ،الأردن،ط 1 ،2003 ،ص58.

[3] نعمان عبد السميع متولي : الانزياح اللغوي،أصوله-أثره في بنية النص،دار العلم والإيمان للنشر و التوزيع،دسوق، مصر ، ط 1، 2014 ص 33.

[4] موسى سامح ربابعة : الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها ،ص 43.

[5] عبد السلام المسدي :الأسلوبية و الأسلوب،الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،ط 3،1977 ،ص 184.

[6] نعمان عبد السميع متولي : الانزياح اللغوي،أصوله-أثره في بنية النص،ص 34.

الفاتح من نوفمبر 1954م ،لذا سنحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة عن مجموعة من الإشكاليات أهمها :ما هي مظاهر الانزياح في قصيدة "جزائرنا"؟ وما هي الوظائف الأسلوبية والبلاغية التي يحققها الانزياح في القصيدة؟ وإلى أي مدى أسهمت ظاهرة الانزياح في بلورة السّمات الجمالية والفنية للقصيدة ؟

قبل الإجابة عن هذه الإشكاليات يجب علينا أولا التعريف بالشاعر محمد الشبوكي الذي يجهله كثير من شباب اليوم ،رغم شهرته قصائده خاصة قصيدة "جزائرنا" التي يحفظها الصغير قبل الكبير.

1-التعريف بمحمد الشبوكي:

هو محمد بن عبد الله الشبايكي المدعو الشبوكي، ولد سنة 1916م بمنطقة ثليجان، ولاية تبسة تتلمذ لوالده بادىء ذي بدء، فحفظ جزء من القرآن الكريم ثم التحق بكتاب الأسرة فحفظ القرآن كله وعددا من المتون العلمية المتنوعة ومجموعة من أشعار العرب القدامى[7] ثم انتقل في الأعوام الثلاثين من القرن العشرين إلى الجنوب التونسي من أجل الإلمام بالعلوم الأولية في الفقه والعربية[8] ثم اتجه في سنة 1934م إلى جامع الزيتونة بالعاصمة التونسية فحصل فيها على شهادة التحصيل سنة 1942م، عاد بعدها إلى وطنه الجزائر[9] .

انخرط بسلك التعليم بمدارس جمعية العلماء معلما ومديرا حتى اندلاع الثورة التحريرية، التحق بالثورة سنة 1955م وكلّف بالتوجيه والإعلام ألقي القبض عليه في 10 فيفري 1956م وزج به في معتقل الجرف قرب مسيلة وتنقل بعدها بين المعتقلات الموجودة في غرب البلاد ووسطها، وظلّ في السجون الاستعمارية حتى 13 مارس 1962م[10] .

بعد خروجه من المعتقلات عاد إلى مهنة التعليم كأستاذ ثانوي،و واصل نضاله في صفوف جبهة التحرير الوطني ،و شارك في المجالس التالية[11]:

-المجلس الإسلامي الأعلى عضوا.

- المجلس الشعبي البلدي لبلدية الشريعة رئيسا

---

[7] _محمد الشبوكي، ديوان الشيخ الشبوكي، دار هومة،الجزائر، (د ط)، 2010 م،ص 211.

[8] _عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2007، ص 240.

[9] _الربعي بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، مجلد2، الجزائر، د.ط، 2009، ص 126.

[10] _محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985، ص 679.

[11] _محمد الشبوكي، ديوان الشيخ الشبوكي ،ص211.

- المجلس الشعبي الولائي لولاية تبسة عضوا ثم رئيسا .

- وأخيرا نائبا بالمجلس الشعبي الوطني في فترته الثالثة.

في 13 من شهر جوان 2005م انتقل الشيخ محمد الشبوكي إلى جوار ربه بعد تعرضه لجلطة دماغية ثالثة ،كان قد تعرض لاثنتين قبلها،ليسدل الستار على مسيرة دامت حوالي 90عاما من العطاء و النضال و الكفاح [12]

لدى الشاعر محمد الشبوكي ديوانين:

الأول: الموسوم "ديوان الشيخ الشبوكي" طبع من قبل المتحف الوطني للمجاهد في الجزائر سنة 1994م، احتوى على المجموعة الأولى من أشعاره،و أعيد طبعه للمرة الثانية سنة 2010م عن دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ،و هو الديوان الذي اعتمدناه في هذه الدراسة.

الثاني: الموسوم ب " ذوب القلب" واحتوى على الأعمال الشعرية الكاملة المجموعة الأولى والمجموعة الثانية من أشعاره لكنه انتقل إلى رحمة ربه عز وجل فسعت وزارة الثقافة لنشره بغية الاعتراف ببطولاته الشعرية ومواقفه.

كما له آثار شعرية مزقها حراس المعتقلات والتي أحرقها الاستدمار الفرنسي عند الاستيلاء على بيته، وآثار شعرية أخرى في تونس بجامع الزيتونة[13] .

و يبقى التاريخ شاهدا أن الشيخ محمد الشبوكي شاعر مناضل زاهد ،لم يتغنّ يوما بشخصه أو يفخر بأصله وفصله ،بل تفرّع لوطنه بكلّ إخلاص.

2- نشيد "جزائرنا... !":

نشيد "جزائرنا" قصيدة وطنية ألّفها الشاعر محمد الشبوكي،تتكون من ستة عشر بيتا شعريا مقروضا وفق عروض بحر المتقارب، كتبها " في النصف الثاني من شهر جانفي سنة 1956م، وبعث بها إلى مركز جيش التحرير الوطني بالجبل الأبيض بواسطة الأخ المجاهد محمد بعلوج"[14] ،و قد لحّنها محمد الربعي و أُديت فنيا من طرف الفرقة الفنية لجبهة التحرير الوطني قبل الاستقلال واعتمدت من الأناشيد الوطنية .

[12] - هناء شبايكي،قراءة في المنجز الشعري "ذوب القلب" للشاعر الجزائري الشيخ محمد الشبوكي،مجلة الصباح للبحوث ،مجلة بحثية محكمة سنوية،كيرالا،الهند،المجلد 8، 2023م، ص35.

[13] المرجع نفسه،ص 38.

[14] تومي عياد الأحمدي، الشيخ محمد الشبوكي شاعر الثورة الزاهد، منشورات الجاحطية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص80.

وقد قام أبو القاسم سعد الله بوصف هذا النشيد قائلا: " نشيد قوي في معناه ولغته ومحتواه وقد لحن لحنا حماسيا مؤثرا ،يرفع معنويات الجنود ،ويدفع بالشباب إلى الانضمام إلى الثورة والاعتزاز بها. فهو نشيد محارب بألفاظه ولحنه ومعانيه الوطنية، ومعلوماته التاريخية التي تجعل الاستعمار في قفص الاتهام" [15] . و أبياته هي[16]:

جَزَائِرَنَا يَا بِلاَدَ الْجُـــــدُودْ ..... نَهَضْنَا نُحَطِّمُ عَنْكِ الْقُيُـــودْ

فَفِيكِ بِرَغْمِ الْعِـــدَا سَنَسُودْ ..... وَنَعْصِفُ بِالظُّلْمِ وَالظَّالِمِينْ

سَلاَماً سَلاَماً جِبَـــالَ الْبِـلاَدْ..... فَأَنْتِ الْقِلاَعُ لَنَا وَالْعِمَـــادْ

وَفِيكِ عَقَدْنَا لِـــــوَاءَ الْجِهَـادْ..... وَمِنْكِ زَحَفْنَا عَلَى الْغَاصِبِينْ

قَهَرْنَا الأَعَـــادِيَ فِي كُـــلِّ وَادْ..... فَلَمْ تُجْدِهِمْ طَائِرَاتُ الْعِمَادْ

وَلاَ الطَّنْكُ يُنْجِدُهُمْ فِي الْبَـوَادْ..... فَبَاؤُوا بِأَشْلاَئِهِمْ خَاسِئِيـــنْ

وَقَائِعُنَـــــا قَدْ رَوَتْ لِلْـــوَرَى..... بِأَنَّا صَمَدْنَا كَأُسْـــدِ الشَّرَى

فأَوْرَاسُ يَشْهَدُ يَوْمَ الْـــــوَغَى..... بِأَنَّا جَهَزْنَـا عَلَى الْمُعْتَدِيـــنْ

سَلُوا جَبَلَ الْجُرْفِ عَنْ جَيْشِنَا..... يُخَبِّرْكُمُ عَنْ قِوَى جَأْشِنَـــا

وَيُعْلِمْكُمُ عَنْ مَدَى بَطْشِنَـــــا..... بِجَيْشِ الزَّعَانِفَةِ الآثِمِيـــــنْ

بِجَرْجَرَةَ الضَّخْمِ خُضْنَا الْغِمَارْ...وَفِي الأَبْيَضِ الْفَخْمِ نِلْنَا الْفَخَارْ

وَفِي كُلِّ فَجٍّ حَمَيْنَا الدِّمَـــارْ..... فَنَحْنُ الأُبَاةُ بَنُو الْفَاتِحِيـــنْ

نُعَاهِدُكُمْ يَا ضَحَايَا الْكِفَـــاحْ..... بِأَنَّا عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى الْفَـــلاَحْ

ثِقُوا يَا رِفَاقِي بِأَنَّ النَّجَـــــاحْ..... سَنَقْطِفُ أَثْمَارَهُ بَاسِمِيـــــنْ

---

[15] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار العرب الإسلامي، ج10، لبنان، ط1، 2007، ص 499.

[16] - محمد الشبوكي،ديوان الشيخ الشبوكي ، دار هومة،الجزائر، (د ط)، 2010 م ،ص ص 71 ،72.

قِفُوا وَاهْتِفُوا يَا رِجَـــالَ الْهِمَمْ..... تَعِيشُ الْجِبَالُ، وَيَحْيَا الشَّمَمْ

وَتَحْيَا الضَّحَايَا، وَيَحْيَا الْعَلَـــمْ..... وَتَحْيَا الدِّمَاءُ، دِمَا الثَّائِرِيـــنْ

3-الانزياح الدلالي :

إنّ الانزياح الدلالي ابتعاد الكلمات عن معناها الظاهر،و بعبارة أخرى يعني "البعد عن مطابقة الكلام للواقع،و هو يستعين بأدوات لغوية متعددة منها الاستعارة و التشبيه..."[17]،والتي" تتصدر النص،ليست حلية يتزين بها النص كي يفتن القارئ ،ولكنها لبّ وجوده وسرّ سحره "[18] وهذا ما جعل شعر محمد الشبوكي يحوي لغة شعرية عذبة المذاق بصوره الشعرية التي تتضمن العديد من الانزياحات الدلالية الممتعة ،و تبدت هذه الانزياحات بتميز وجمال في الدلالة و البناء في:

أ-الاستعارة:

تعد الصور الاستعارية إحدى الوسائل المستخدمة في نقل التجربة الشعرية إلى المتلقي،و من خصائصها :"أنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ،حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر،و تجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر...إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل،كأنّها قد جسّمت حتى رأتها العيون ،و إن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون "[19].

فالمتلقي يتفاجأ عندما يقرأ الخطاب المجازي ،فيدرك حالة الشاعر النفسية ،و الصور الاستعارية تحتل حيزا كبيرا في شعر الشبوكي ،حيث استعان بها للتعبير عن قوة الثورة و انتصارات المجاهدين الأبطال التي تشهد لها الجبال الراسيات، و ذلك في قوله :

فَأَوْرَاسُ يَشْهَدُ يَوْمَ الْوَغَى..... بِأَنَّا جَهَزْنَا عَلَى الْمُعْتَدِينْ[20]

شبّه الشاعر جبال الأوراس بالإنسان الكائن الحي الذي شهد الوقائع فالأوراس شاهد للبطولة

---

[17] نعمان عبد السميع متولي : الانزياح اللغوي،أصوله-أثره في بنية النص،ص 36

[18] عبد الله الغذامي:الخطيئة و التكفير ، من البنيوية إلى التشريحية ،نظرية و تطبيق،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب ط 6 ،2006 م،ص 27.

[19] عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة ، مصر، (دط)،(د ت)، ص43.

[20] محمد الشبوكي ،ديوان الشيخ الشبوكي ، ص 71.

وسجّلها ولم يذكر الإنسان وترك لازمة من لوازمه وهي الشهادة.

كما اعتمد الشاعر على الاستعارة لتحقيق مزيد من الجمالية،و لكي يستغل ما في الصور من رمزية ليجعل النص أكثر دهشة و تألقا،و نجد ذلك في قوله :

ثِقُوا يَا رِفَاقِي بِأَنَّ النَّجَاحْ..... سَنَقْطِفُ أَثْمَارَهُ بَاسِمِينْ[21]

جسّد الشاعر النجاح في صورة أثمار مقطوفة فصوّر الثمار على أنّها نتيجة النجاح، فالنجاح يكتسبه الثائرون فتعمّ وتهزّ الفرحة عند الشعب.

كما يقول في بيت آخر:

قِفُوا وَاهْتِفُوا يَا رِجَـــالَ الْهِمَمْ..... تَعِيشُ الْجِبَالُ، وَيَحْيَا الشَّمَمْ[22]

ففي عجز هذا البيت توجد صورة استعارية أخرى (تعيش الجبال ويحيا الشمم) شبّه قمم الجبال بالإنسان الذي يعيش ويحيا ،فالشاعر يثني بهمم وعزائم الرجال القوية وبقمم الجبال التي حوت الثورة و خلدتها، و بذلك يكون الشبوكي قد استعمل الصور المجازية بهدف تقريب المعنى إلى نفوس المتلقّين و بثّ الحماسة فيهم.

من خلال هذه الاستعارات التي جسدها الشبوكي في قصيدته رسّخ لأحداث الثورة التحريرية المظفرة ، فتفنّن وأبدع بأساليب جيّدة في الاستعمالات اللغوية لمحاولة إيصالها للقارىء الذي لم يعايش هذه الوقائع والأحداث.

ب-التشبيه:

التشبيه " لون بلاغي و جمالي يشبه فيه الأديب شيئا بآخر ليكتسب الأول من الثاني صفة ما"[23]، و بعبارة أخرى هو: "إلحاق شيء بشيء آخر لعلاقة مشابهة بينهما "[24].

---

[21]- محمد الشبوكي،،ديوان الشيخ الشبوكي ، ص 72.

[22]- المصدر نفسه، ص 72.

[23] أحمد عادل شرف الدين :مصباح البلاغة،جمعية الفرقان المبين،القاهرة ،مصر،ط 2000،1 ،ج1، ص 11.

[24] قدري مايو:المعين في البلاغة(البيان،البديع،المعاني)،عالم الكتب ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،2000،ص 11.

و نظر لما يتميز به التشبيه من إيجاز واختصار للمعاني ،اتخذه الشعر وسيلة للتعبير عن جمال الصورة ،و إذا كان للتشبيه أدوات مختلفة،فإن للتشبيه بالكاف موقعه الواضح من شعر محمد الشبوكي،و تجسد ذلك جليا في قوله:

وَقَائِعُنَا قَدْ رَوَتْ لِلْوَرَى..... بِأَنَّا صَمَدْنَا كَأُسْدِ الشَّرَى[25]

ورد في هذا البيت الشعري ما يسمّى بالتشبيه المرسل، وهو ما ذكرت فيه الأداة (الكاف) فالشاعر في موقف حماسي وواقعي، فقد صمد الشعب الجزائري صمود الأسد الذي يعتبر ملك الغابة والذي يرمز للقوة والفتك والشجاعة واعتمد على التلميح بدل التصريح حيث أعاد لنا لوحات ملحمة من البطولات ولا يزال العالم يعلم أنّ الثورة الجزائرية ثورة أبطال وشجعان صمدوا ودافعوا عن وطنهم لتحريره من الاستعمار الغاشم.

ج-الكناية:

الكناية" كلام يُطلق و يراد به لازم معناه "[26]،و عرفها الجرجاني بقوله :"أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ،و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود،فيومئ به إليه و يجعله دليلا عليه[27]. بهذا المعنى تبتعد الكناية عن حرفية كلماتها إلى معنى آخر مجازي .

كما تعرّف الكناية بأنّها التعبير عن المعنى بطريقة تصويرية غير مباشرة [28] ، إذن فهي لا تقدّم المعنى بشكل مباشر وصريح، وإنّما تستخدم لفظا يوحي للمعنى، و المتلقي يستخدم ذهنه لمعرفته. لذا تعدّ تعبيرا فنيا راقيا ،و شكلا من أشكال الانزياح الدلالي عبّر من خلالها محمد الشبوكي عما يختلجه من أفكار،و من ذلك قوله:

وَفِيكِ عَقَدْنَا لِوَاءَ الْجِهَادْ..... وَمِنْكِ زَحَفْنَا عَلَى الْغَاصِبِينْ [29]

استعمل الشاعر في هذا البيت الشعري كناية عن قوة الشعب الجزائري الثائر ومواجهته لفرنسا

---

[25] محمد الشبوكي،ديوان الشيخ الشبوكي ، ص 71.

[26] قدري مايو:المعين في البلاغة ، ص 55.

[27] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ،تعليق:محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي ،القاهرة ، مصر ،(د ط)،1984،ص 66.

[28] - محمد علي سلطاني، المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، سوريا، ط1، 2008، ص 109.

[29] محمد الشبوكي،ديوان الشيخ الشبوكي ، ص 71.

واتخاذ الشعب من الجبال مركزا للمواجهة والقتال الذي يستردّ ويسترجع ويستعيد هويته ويحقق حضوره وفعله الثوري.

كما يقول في بيت آخر:

وَلاَ الطَّنْكُ يُنْجِدُهُمْ فِي الْبَـوَادْ..... فَبَاؤُوا بِأَشْلاَئِهِمْ خَاسِئِيـنْ[30]

في عجز البيت الثاني كناية عن انهزام العدو ورجوعه حقيرا حيث أشاد بقوة جيش التحرير أمام الجيش الفرنسي الذي أصابته الذلة والحسرة لقوة وصمود الثوار وعزيمتهم وإصرارهم على النصر.

مما سبق نستنتج أن محمد الشبوكي عمد إلى توظيف الانزياح الدلالي بمختلف أشكاله من تشبيه ما فيه من حسن بلاغة وقوة والقوة في التّأثير، واستعارة الذي نقل لنا المعنى بأبهى صورها واختياره لقيم دلالية مكثّفة، وكناية ما تحمل من سحر وحلاوة ممّا زاد الأبيات الشعرية حسنًا وجمالاً.

4-الانزياح التركيبي :

تستقي اللغة خصوصيتها من خلال تركيب ألفاظها وفق نظام لغوي خاص ،يمكّن الشاعر من "تشكيل اللغة جماليا بما يتجاوز إطار المألوفات،و بما يجعل التنبؤ الذي سيسلكه أمرا غير ممكن "[31]،و الانزياح التركيبي "لا يكسّر قوانين اللغة المعيارية ليبحث عن قوانين بديلة،لكنه يخرق القانون باعتنائه بما يعدّ استثنائيا،أو نادرا فيه "[32]،ومن أهم التغيرات التي نلمحها على مستوى البناء اللغوي التقديم و التأخير.

أ-التقديم والتأخير:

يقول فيه عبد القاهر الجرجاني:"هو باب كثير الفوائد،جمّ المحاسن،واسع التصرف بعيد الغاية،لا يزال يفترُّ لك عن بديعة،و يفضي بك إلى لطيفة ،و لا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه و يلطف لديك موقعه،ثم تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك ،أن قدّم فيه شيء و حوّل اللفظ عن مكان إلى مكان

---

[30] محمد الشبوكي،ديوان الشيخ الشبوكي ، ص 71.

[31] أحمد محمد ويس : الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان ط1 ، 2005م ، ص 120.

[32] سامح الرواشدة:فضاءات الشعرية،المركز القومي ،أربد ،الأردن ،(دط)، 1999، ص ص53، 54.

"[33].و الجرجاني في حديثه عن التقديم و التأخير لا يقصد تقديم و تأخير ما ليس له حق ،لأنّ ذلك يؤدي إلى اختلال نظم الكلام .

و يعد التقديم و التأخير من أهم الأساليب التي لجأ إليها الشعراء ،خاصة الشبوكي لما له من "فاعلية كبيرة في تنسيق الكلمات،و ترتيبها وفق ما تقتضيه حركة السياق "[34]،و إذا عدنا إلى نشيد"جزائرنا" لوجدنا أن ظاهرة التقديم و التأخير واردة كثيرا،منها تقديم الجار و المجرور المتعلق بالفعل الذي تكرر عدة مرات في القصيدة ،نذكر منها:

فَفِيكِ بِرَغْمِ الْعِدَا سَنَسُودْ ..... وَنَعْصِفُ بِالظُّلْمِ وَالظَّالِمِينْ[35]

قدم الشاعر في هذا البيت الجار و المجرور على الفعل و ذلك في قوله(**فَفِيكِ بِرَغْمِ الْعِدَا سَنَسُودْ**) و الأصل(فسنسود برغم العدا فيك) ،و قد أضفى هذا التقديم والتأخير فنية و متعة في القصيدة،فالشاعر في هذا البيت يتحدث عن تمسك الجزائريين بأرضهم ،التي لن يتخلوا عنها مهما كلفهم الثمن ،أن هذا المستعمر الغاشم لن يتمكن أبدا مهما حاول من سلبهم إياها.

و أيضا في قوله:

وَفِيكِ عَقَدْنَا لِـــوَاءَ الْجِهَـادْ..... وَمِنْكِ زَحَفْنَا عَلَى الْغَاصِبِينْ[36]

ففي هذا البيت انزياحان واضحان،الأول تقديم الجار و المجرور(فيك)على الفعل(عقدنا) و الثاني تقديم الجار و المجرور(منك)على الفعل (زحفنا)،و الأصل أن يقول(عقدنا لواء الجهاد فيك)،و أيضا : (زحفنا منك على الغاصبين) ،فالشاعر يؤكد على أن الجبال رمز من رموز ثورة نوفمبر المجيدة،ففيها أطلقت أوّل رصاصة تدعو إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل تحرير الوطن ،و الانطلاق بعزم و ثبات لمحاربة الاحتلال الغاشم المغتصب لأرض الآباء و الأجداد ،و قد أضفى هذا التقديم للجار و المجرور على الفعل المتعلق به جمالية و فنية عالية.

---

[33] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز،ص 106.

[34] ابتسام أحمد حمدان :الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي ،دار القلم العربي ،حلب،سوريا ، ط1، 1997 ،ص 226.

[35] محمد الشبوكي،ديوان الشيخ الشبوكي ، ص 71.

[36] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

ومن التقديم و التأخير أيضا تقديم المسند إليه على المسند،فالأصل في اللغة العربية أن الفاعل يأتي تاليا لفعله و سابقا لمفعوله ،هذا في الغالب الأعم ،لكن الشاعر في هذه القصيدة عمد إلى قلب هذه القاعدة ليحقق الانزياح في قصيدته ،و من ذلك قوله:

وَقَائِعُنَـــا قَدْ رَوَتْ لِلْـــوَرَى..... بِأَنَّا صَمَدْنَا كَأُسْـــدِ الشَّـرَى

فموضع التقديم في هذا البيت قول الشاعر (**وَقَائِعُنَـــا قَدْ رَوَتْ لِلْـــوَرَى**) ،وفي هذا التركيب قدم الشاعر المسند إليه على المسند،و الأصل (قد روت وقائعنا للورى) ،ليبيّن أن أحداث ثورة نوفمبر بوقائعها و معاركها تروي للجميع بطولات شعب الجزائر و صمودهم في وجه الاحتلال الفرنسي بشجاعة وبسالة كالأسود الضراغم.

و أيضا في قوله:

فأوْرَاسُ يَشْهَدُ يَوْمَ الْـــــوَغَى..... بِأَنَّا جَهَزْنَـا عَلَى الْمُعْتَدِيـــنْ

فتقديم المسند إليه على المسند جاء في صدر البيت (**فأوْرَاسُ يَشْهَدُ يَوْمَ الْـــــوَغَى**)، و الأصل (يشهد أوراس يوم الوغى)،ذلك أن جبال الأوراس الشامخة شاهدة عيان على بطولات جيش التحرير الوطني و معاركهم الطاحنة التي أربكت العدو ،و أجهزت على عدّته و عتاده.

ب- الحذف:

إن الحذف من الظواهر الأسلوبية التي تنتج الأدبية ،فهو انزياح يمس الجانب التركيبي و الذي يعكس جمالا على النص الشعري ،و هو لا يصلح في جميع الأحوال،"إذ ينبغي ألا يتبعه خلل في المعنى أو فساد في التركيب،لذا لابد أن يتأكد المرسِل من وضوح المحذوف في ذهن المتلقي،وإمكان تخيّله "[37].

و ميزة الحذف "تنبع من أنّه يثير الانتباه ،و يلفت النظر،و يبعث على التفكير فيما حذف فتحدث عملية إشراك للمتلقي في الرسالة الموجهة إليه "[38].

[37] فتح الله أحمد سليمان:الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر، (د ط)،2004م ، ص137.
[38] المرجع نفسه ،ص138.

و من أكثر صوره "حذف أحد ركني الإسناد،و بقاء المسند أو المسند إليه ،مما يخلق تناغما سياقيا مع النسق التركيبي ،الذي يتضمنه "[39].و من تجليات حذف المسند في قصيدة "جزائرنا" حذف الفاعل الذي يؤدي بدوره إلى إبراز المفاجأة و الأدبية في النص الشعري ،و من أمثلة ذلك:

فَفِيكِ بِرَغْمِ الْعِـــدَا سَنَسُودْ ..... وَنَعْصِفُ بِالظُّلْمِ وَالظَّالِمِينْ

ففي هذا البيت حذف الشبوكي فاعل (سنسود) و(نعصف) وجوبا ،لأنه لا يمكن أن يحل محله اسما ظاهرا إنما ينوب عنه ضمير مستتر تقديره (نحن)،و تقدير الكلام (سنسود نحن)و(نعصف نحن بالظلم و الظالمين)،و الانزياح عن هذا الأصل جاء لتخفيف الكلام ،فعندما نقول (سنسود) و (نعصف)نلمس خفة في النطق ،و هذا ما أسهم بإحلال لمسة جمالية لم نلحظها في الكلام الصريح (سنسود نحن)و(نعصف نحن).والشاعر هنا يؤكد على صمود الشعب الجزائري و فرضه لسيادته في وطنه الجزائر رغما عن أنف الاحتلال الغاشم الذي مآله المغادرة من أرض احتلها و بطش بأهلها .

و من حذف الفاعل أيضا:

ثِقُوا يَا رِفَاقِي بِأَنَّ النَّجَـــاحْ..... سَنَقْطِفُ أَثْمَارَهُ بَاسِمِيـــنْ

فالشاعر هنا يحمل نظرة تفاؤلية ،و هذا راجع لإصرار المجاهدين على تحقيق النصر الذي سيقطفونه فرحين مبتسمين مهما طالت الأيام و السنين، و أصل الكلام(سنقطف نحن أثماره باسمين)،فحذف الفاعل في موضع من الشطر الثاني أضفى جمالية و شكل انزياحا على المستوى التركيبي .

و بهذا يكون للحذف قرينة تدل على العنصر المفقود ،و قد اعتمد الشاعر على القرينة اللفظية لذلك يسهل على القارئ إدراك معنى التركيب بعد ما اعتراه الحذف.

ج- التكرار:

التكرار من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تُؤدي في القصيدة دورا تعبيريا واضحا،فتكرار لفظة ما أو عبارة ما يوحي بشكل أوليّ بسيطرة هذا العنصر المتكرر،و إلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره،ومن ثم يبرز ذلك جليا من خلال رؤياه عبر التّجربة الشّعرية،لهذا فإن التّكرار أصبح يقوم بوظيفة إيحائية بارزة في القصيدة الحديثة،وتتعدد أشكاله وصوره بتعدد الهدف الإيحائي الذي يرمي إليه

[39] ابتسام أحمد حمدان :الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ص221.

الشاعر،وتتراوح هذه الأشكال في صور مختلفة،ما بين التّكرار البسيط الذي لا يتجاوز تكرار لفظة معينة أو عبارة معينة،وبين أشكال أخرى أكثر تعقيدا يتصرف فيها الشاعر في العنصر المكرر،بحيث تصبح أقوى إيحاء[40].

كما يتحدد مفهوم التكرار في أبسط مستوياته بـ"أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا ، أو يأتي بمعنى ثم يعيده،و هذا من شرط اتفاق المعنى الأول و الثاني ، فإن كان متحد الألفاظ و المعاني ، فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر و تقريره في النفس و كذلك إذا كان المعنى متحدا،و إن كان اللفظان متفقين و المعنى مختلفا فالفائدة بالإتيان به للدلالة على المعنيين المختلفين "[41].

و التكرار البارز في نشيد "جزائرنا"لمحمد الشبوكي تكرار الكلمة الذي يعتبر شكلا من أشكال التكرار المختلفة التي تجسدت في القصيدة ،و"لا يكون اعتباطيا لملء حشو،و إنّما لغاية دلالية،لأنّ (الشاعر)بتكرار بعض الكلمات يعيد صياغة بعض الصور من جهة،كما يستطيع أن يكثف الدلالة الإيحائية للنص من جهة أخرى و لأيّ كلمة وظيفتها و دلالتها داخل النص،الذي تكونه و يحتويها،فإذا تكررت لفتت إليها الانتباه و أدت ما جاءت من أجله أوّل مرة،و باتت جديرة بالدراسة "[42].

و قد تكررت بعض الكلمات في قصيدة الشيخ الشبوكي ،وتكرارها يشكّل عنصرا فاعلاً،لأنّها تتمثّل إشارة وعلامة أسلوبية بارزة،يسعى الشاعر إلى إبرازها والتأكيد عليها،يقول الشاعر مثلاً:

سَلاَماً سَلاَماً جِبَـــالَ الْبِـلاَدْ..... فَأَنْتِ الْقِلاَعُ لَنَا وَالْعِمَـــادْ

يجعل الشاعر من كلمة (سلاما) المكررة مرتين في هذا البيت كلمة محورية،فتحية الجبال بتحية الإسلام و هي السلام توحي بدلالات دينية عميقة،و هي أن هذه الجبال موطن الجهاد و الشهادة في سبيل بزوغ نور الحرية ،و قد لجأ الشاعر إلى التّكرار ليوظّفه فنّيا في النّص الشعري لدوافع نفسية وأخرى فنية،أما الدوافع النّفسية فإنّها ذات وظيفة مزدوجة تجمع الشاعر والمتلقي على السواء،فمن

---

[40] ينظر، علي عشري زايد:عن بناء القصيدة الحديثة،مكتبة الآداب ،القاهرة ،مصر ،2008 م،ص 59.

[41] محمد صابر عبيد :القصيدة العربية بين البنية الدلالية و البنية الإيقاعية ، اتحاد الكتاب العرب،دمشق ،سوريا ،(د ط) 2001،ص 15.

[42] عبد القادر علي زروقي:أساليب التكرار في ديوان " سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا" لمحمود درويش ، مقاربة أسلوبية رسالة ماجستير،جامعة الحاج لخضر،باتنة ، 2012/2011،ص 92.

ناحية الشاعر يعني التّكرار الإلحاح في العبارة على معنى شعوري يلازمه بين عناصر الموقف الشعري أكثر من غيره [43].و من التكرار أيضا قول الشاعر:

قِفُوا وَاهْتِفُوا يَا رِجَـــالَ الْهِمَمْ..... تَعِيشُ الْجِبَالُ، وَيَحْيَا الشَّمَمْ

وَتَحْيَا الضَّحَايَا، وَيَحْيَا الْعَلَـــمْ..... وَتَحْيَا الدِّمَاءُ، دِمَا الثَّائِرِيـــنْ

يكرر الشبوكي الفعل(يحيا)و(تحيا)مرتين في هذين البيتين ،ليعبر عن خلجات قلبه و يرفع تحية إكبار و إجلال للجبال الشاهقات موقع المعارك الضارية و الشهداء الأبرار الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل تحرير جزائرهم الحبيبة،التي سبقى علمها دائما يرفرف عاليا في سماء الحرية.

إن التكرار في شعر الشبوكي لم يأت من فراغ ،بل إنه وليد موهبة إبداعية ،فهو يعرف كيف يكرر الكلمة ليحدث إيقاعا ثري النغمات ،شديد الوقع على النفوس.

خاتمة:

تضمنت قصيدة "جزائرنا"لمحمد الشبوكي العديد من الانزياحات،التي شكلت سمة فنية و أسلوبية بارزة في تجربته الشعرية ،حيث احتلت الانزياحات الدلالية من استعارة و تشبيه و كناية مكانة بارزة في القصيدة ،و التي جسدت بجلاء مشاعر الشاعر و أحاسيسه تجاه وطنه الجزائر الذي وقع أسير بطش الاحتلال الفرنسي الغاشم،لكن هيهات أن يبق الوضع على ما هو عليه، بوجود أبطال ضحوا بالغالي و النفيس في سبيل استرداد نور الحرية ،كما كان للانزياحات التركيبية من تقديم و تأخير و حذف و تكرار أثر مهمّ في الارتقاء بالقصيدة جماليا ،و الاسهام في تقديمها رؤية وشكلا .

المراجع:

1- إبتسام أحمد حمدان :الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي ،دار القلم العربي،حلب،سوريا ،ط1.
2- أحمد عادل شرف الدين : مصباح البلاغة،جمعية الفرقان المبين،القاهرة،مصر،ط 1 2000،ج1.
3- أحمد محمد ويس :الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،بيروت ،لبنان ،ط1 ،2005 .

[43] ينظر،حسن ناظم :مفاهيم الشعرية،دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم،المركز الثقافي العربي ، بيروت،ط3 1994م،ص 5

4- أيوب جرجيس العطية:الأسلوبية في النقد العربي المعاصر،عالم الكتب الحديث ،الأردن ط 1، 2014 .

5- حسن ناظم :مفاهيم الشعرية،دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم،المركز الثقافي العربي ، بيروت،ط 3 ،1994.

6- سامح الرواشدة:فضاءات الشعرية،المركز القومي،أربد،الأردن ،(د ط)،1999.

7- عبد السلام المسدي :الأسلوبية و الأسلوب،الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،ط 3، 1977 .

8- عبد القادر علي زروقي:أساليب التكرار في ديوان " سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا " لمحمود درويش ،مقاربة أسلوبية رسالة ماجستير،جامعة الحاج لخضر،باتنة 2012/2011.

9- عبد القاهر الجرجاني :أسرار البلاغة ،تعليق:محمود محمد شاكر،مطبعة المدني ،القاهرة مصر (د ط)،(د ت).

10-عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز،تعليق:محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي ، القاهرة مصر ،(د ط)،1984.

11- عبد الله الغذامي:الخطيئة و التكفير ،من البنيوية إلى التشريحية ،نظرية و تطبيق،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب ،ط 6 ،2006 .

12- علي عشري زايد:عن بناء القصيدة الحديثة،مكتبة الآداب ،القاهرة ،مصر،2008 م.

13- فتح الله أحمد سليمان:الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية ، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر ،(د ط)،2004 .

14- قدري مايو:المعين في البلاغة(البيان،البديع،المعاني)،عالم الكتب ،بيروت ،لبنان، ط1 2000م

15- محمد الشبوكي،ديوان الشيخ الشبوكي ، دار هومة،الجزائر، (د ط)، 2010 م.

16- محمد صابر عبيد : القصيدة العربية بين البنية الدلالية و البنية الإيقاعية ، اتحاد الكتاب العرب،دمشق ،سوريا ،(د ط)، 2001 م.

17- موسى ربابعة:الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها،دار الكندي للنشر و التوزيع ،أربد ، الأردن ط1 ، 2003 .

18- نعمان عبد السميع متولي :الانزياح اللغوي،أصوله-أثره في بنية النص ،دار العلم والإيمان للنشر و التوزيع،دسوق،مصر ،ط 1،2014 .

19- هناء شبايكي،قراءة في المنجز الشعري "ذوب القلب" للشاعر الجزائري الشيخ محمد الشبوكي،مجلة الصباح للبحوث ،مجلة بحثية محكمة سنوية،كيرالا،الهند،المجلد 8، 2023م.